The poetry of promiscuity and the philosophy of Epicurean pleasure A study of immoral poetry in the first Abbasid age

Dr. Mohsen Mohammad Haydar*

(Received 8 / 3 / 2024. Accepted 9 / 5 / 2024)

□ ABSTRACT □

promiscuity poetry in the first Abbasid era is poetry that carries within it doubt, atheism, arrogance, recklessness, immorality, pleasure, and rebellion against what is established in literature, art, life, and religion. This term has been linked to Greek philosophy, and in particular Epicurean philosophy. Which was called the philosophy of pleasure because it calls for taking the path of pleasure and enjoyment in life, and the research seeks to study the promiscuity poets of that era and their tendency toward pleasure, frivolity, and recklessness. Because that era was distinguished from others by economic and intellectual prosperity, and its poets were distinguished by deep culture and knowledge of importing cultures and philosophies.

Keywords : promiscuity, epicureanism philosophy, pleasure, the first Abbassy age

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **phd, Faculty of Arts and Humanities at Tishreen University in Syria.**

شعر المُجـون وفلسفة اللذّة الأبيقورية
دراسة في أشعار المجون في العصر العبّاسي الأوّل

د. محسن محمّد حيدر*

(تاريخ الإيداع 8 / 3 / 2024. قبل للنشر في 9 / 5 / 2024)

□ ملخّص □

شعر المُجون في العصر العباسيّ الأوّل هو الشعر الذي يحمل في طيّاته الشكّ والإلحاد والتظرّف والاستهتار والخلاعة واللّذّة، والتمرّد على الثابت في الأدب والفنّ والحياة والدين، وقد ارتبط هذا المصطلح مع الفلسفة اليونانيّة ، وبشكلٍ خاصّ الفلسفة الأبيقوريّة؛ التي سُمّيت فلسفة اللّذّة لدعوتها إلى سلوك طريق المتعة واللذّة في الحياة، ويسعى البحث لدراسة الشعراء المجّان في ذلك العصر وميلهم إلى اللذّة والعبث والاستهتار؛ لأنّ ذلك العصر تميّزَ عن غيره بالازدهار الاقتصادي والفكري، وتميّزَ شعراؤه بالثقافة العميقة والاطّلاع على الثقافات والفلسفات الوافدة.

الكلمات المفتاحية : المُجون ، اللذّة ، الفلسفة الأبيقوريّة ، العصر العباسيّ الأوّل

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **دكتوراه- كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين –سورية.**

مقدمة:

يُعدّ المُجون ظاهرة إشكاليّة في الأدب العربيّ لِما كان يتمتّع به شعراؤه من ثقافةٍ عميقةٍ، ولما حملته أشعارهم من دلالاتٍ وأفكارٍ لم تكن مألوفة، حيث اتّسمت بغناها بقيم الحريّة، وتقديس الذّات، والتمرّد الاجتماعي والفنّيّ والدّينيّ، واتّسمت أيضاً بالعبث والتهتّك، إضافةً إلى النّزعة الوجدانيّة والإنسانيّة، وارتبطت أشعار المجّان في العصر العباسي الأوّل بالفلسفة اليونانيّة، وبشكلٍ خاص فلسفة اللذّة الأبيقوريّة.

الأبيقوريّة: نسبةً إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور (340– 271 ق.م.) الذي كان يعتقد أنّ الأرض قاطبةً تعيش في الألم وتكتسب بالألم أعظم قواها، إلّا أنّه أشاد بالفرح واكتشف الحكمة والفنّ، والأبيقوريّة: هي فلسفة عمليّة تقول : إنّ في اللّذّة سعادة الإنسان ، وقبل كلّ شيء اللّذّة العقليّة واللّذّة الروحيّة كالصّداقة والفضيلة[1]، وهي فلسفة معيشة فلسفة الحياة ، فلسفة شفاء من الشّقاء ، فالسّعادة هدف الحياة البشريّة، والسعادة هي اللّذّة والخير الأقصى، والحكمة عند أبيقور بحثٌ ممتعٌ عن الحقيقة ... واللّذّة تواكب المعرفة في الفلسفة[2]، والشعراء المُجّان يدعون بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ إلى اللّذّة والمتعة والخلاعة وانتهاك المقدّس، ومن هذا المنطلق فقد وجد البحث مجالاً للبحث والدراسة لتشابه الأفكار والأهداف على الرغم من الفارق الزمني الكبير بينهما، وتسعى الدراسة إلى الغوص في أشعار المجّان واكتشاف نقاط التلاقي بينهما .

أهميّة البحث وأهدافه :

لقد سعى البحث إلى استقراء النصوص الشعريّة للشعراء المُجّان في العصر العبّاسيّ الأوّل كأبي نواس ومطيع بن إياس الكناني و والبة بن الحباب على سبيل المثال لا الحصر ، ودراسة هذه الأشعار، وتحليلها محاولاً الكشف عن ملامح فلسفة اللذة في أشعارهم. وتتبع أهميّة البحث من كونه يدرس ظاهرةً إشكاليّة في الأدب العربي هي ظاهرة المُجون، ثم يبحث في تلاقيها مع ظاهرة فلسفيّة قديمة هي الفلسفة الأبيقوريّة .

الدّراسات السّابقة :

تكاد تغيب الدراسات عن البحث في موضوع فلسفة اللذّة وتقاطعها مع شعر المجون في العصر العباسيّ الأوّل، ما عدا بعض الدراسات التي تناولت ظواهر قريبة منها كالعبثية والوجودية والاغتراب عند بعض شعراء المجون كأبي نواس على سبيل المثال لا الحصر، ومن أبرز الدراسات السابقة كتاب **(أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرّد)** لأحلام الزعيم وقد تناولت فيه عبثية أبي نواس واغترابه واقترابه من المعجم الصوفي في الخمرة الإلهيّة، كما تناولت فيه بعض الملامح الوجوديّة في أشعار أبي نواس كالحريّة، والاختيار، والخطيئة، والقلق الناشئ عن الإحساس بالزمن والموت، وبواعث الغربة لديه ، وموقفه من الزمن والموت . وكتاب **(أدباء فلاسفة)** لميخائيل مسعود الذي بحث في ارتباط الأدب بالفلسفة، وتناولها في العصور الجاهليّة والأمويّة والعبّاسيّة، وعرض المصادر الأعجميّة للفلسفة العربيّة، والتفكير الفلسفي عند العرب، ثمّ عرض بعض المظاهر الفلسفيّة في نتاج بعض الشّعراء كأبي نواس وأبي العتاهية وابن الرّومي

---

[1] **ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة السادسة، 1982.**
Almonjed in language and proverbial , dar almashrek , Birute, 1982. (in Arabic)

[2] **ينظر: بران، جان ، الفلسفة الأبيقوريّة، تعريب: جورج أبو كسم، الأبجدية للنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1992، ص5 ، 6 .**
Bran, jan, Epicureanism philosophy, inquiry: George Abbo Kasem, alabjadiea for Printing and publishing, Damascus, 1992. (in Arabic)

وأبي تمام والمتنبي والمعرّي وبعض الصوفيّين. و كتاب **(في الأدب الفلسفيّ)** للدكتور محمد شفيق شيّا ، الذي يذكر فيه أنّ أثر الفلسفة لم يقتصر على معاني الأدب وأغراضه ، و إنّما تعدّى ذلك إلى الشكل، و إلى اللّغة والأسلوب وطريقة تنظيم المعنى، وخصائص البنى الجماليّة بصفةٍ عامّة ، فيبيّن المؤلّف أنّ الأدب الفلسفيّ يقوم في تركيبه الجدليّ البالغ العمق والدلالة بين البعد الفلسفيّ والطابع الجماليّ – على حدّ تعبيره .

ومن هنا تبرز أهميّة البحث في تلاقي فلسفة اللذّة الأبيقوريّة مع شعر المجون العصر العبّاسيّ الأوّل، كإشكاليّة فكريّة فلسفيّة في الشعر العربي القديم، وأمّا هدف البحث فهو تسليط الضوء على أشعار المجّان في القرن الثاني؛ بغية الكشف عن ملامح اللذّة في أشعارهم ، وإبراز قيمتها الفنيّة .

منهجيّة البحث :

إنّ دراسة فلسفة اللذّة الأبيقوريّة وتلاقيها مع أشعار المجّان ستقوم على استقراء النصوص الشعريّة ، و إبراز قيمتها الفنيّة، وقد وجدتْ في المنهج الوصفي خير معينٍ ، لأنّه سيفيدها في التفسير والتحليل والتقييم، وفي قراءة النصوص وتحليلها بقدر استجابتها له ، إضافةً إلى المنهج النفسي الذي يساعد في الكشف عن جماليات النصوص الشعرية ، واستكشاف بواطنها، و فهم ما تحويه من أبعادٍ ودلالاتٍ ، وفي تفسير الظواهر الأدبية ، والكشف عن عللها وأسبابها ومنابعها ، والبحث لن يغفل الإفادة من المناهج النقديّة الأخرى التي تُعنى بالمكوّن الفكريّ للشعر ، إذ إنّ من المتفق عليه أنّ النصّ الشعريّ لا يسير في نظامه اللغويّ أو الجماليّ في اتجاه واحد ، وإنّما تتداخل فيه عناصر شتّى، ممّا يفرض على الباحث الإفادة من تلك المناهج في الدراسة .

المجون لغةً واصطلاحاً:

المجون لغةً[3]:

مَجَنَ: مَجَنَ الشيءُ يَمْجُنُ مُجوناً إذا صلب وغلظ، ومنه الماجن لصلابة وجهه وقلّة استحيائه، والمجانة أن لا يبالي ما صنع وما قيل له... والماجن عند العرب: الذي يرتكب المقابح المُرْدية والفضائح المُخزية، ولا يمُضّه عذل عاذله ولا تقريع من يقرّعه. والمَجْنُ: هو خلط الجدّ بالهزل، يُقال: قد مجنتَ فاسكتْ، والمجون أن لا يبالي الإنسان بما صنع. وقال ابن دريد: أحسبه دخيلاً، والجمع مُجّان.

قال الأزهريّ سمعتُ أعرابيّاً يقول لخادمٍ له كان يعذله كثيراً وهو لا يريع إلى قوله: أراك قد مَجَنْتَ على الكلام؛ أراد أنّه لا يعبأ به، وفي الصّحاح[4]: أن لا يبالي الإنسان بما صنع، ومَجَنَ بالفتح يمجُنُ مُجوناً ومَجانةً، فهو ماجن .

وممّا تقدّم يمكن القول: إنّ المُجون في دلالته اللّغويّة يفيد التمرّد على القوانين والأعراف، وعدم الانصياع لها، ويدلّ على الخروج عن المألوف في القول والفعل، إضافةً إلى الجهر بالمعاصي والتصريح بها، وعدم الانضباط والتقيّد بالأخلاق والأعراف والدّين.

[3] **ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، المؤسسة المصريّة العامة للتأليف والأنباء والنشر، دون تاريخ، مادة(مجن).**
Ibn Manzoor, Gamal aldeen alanssari, lesan alarab, Egyption establishment for Printing and publishing. (in Arabic)

[4] **الجوهري ، إسماعيل بن حمّاد ، الصّحاح، تاج اللغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1979، مادة (مجن).**
Aljawhary, Ismaiel ebn Hammad, Alsehah, inquiry: Ahmad Attar, dar alelm for million's, 1979. (in Arabic)

المجون اصطلاحاً:

إنّ دلالة المجون الاصطلاحيّة تحمل معاني عدّة كالشّكّ، والإلحاد، والهزل والتظرّف، والخلاعة، ومنه ما ذُكر في الأغاني عن مطيع بن إياس أنّه "كان ظريفاً خليعاً، حلو العشرة، مليح النّادرة، ماجناً متّهماً في دينه"[5]. وهنا يظهر أنّ المُجون في اصطلاح النقد العربيّ القديم مزيجٌ من المعاني السّابقة، وقيل عن والبة بن الحُباب: "كان ماجناً خفيف الرّوح، خبيث الدّين"[6]، فالمُجون إذن يحمل معاني الاستهتار، وعدم المبالاة، وشرب الخمر، وبذاءة القول، فالمجون وجهٌ من وجوه التهتّك والعبث والضّياع الذي يتخبّط فيه الإنسان، وقد يكون تعبيرَ الشاعر الماجنِ عما يعانيه من مجتمعه بأشكاله كافةً واختلافاته وتيّاراته المتعدّدة والمتناحرة، وتعبيراً عمّا يعانيه من مواجهته مع الحياة والمجتمع والدين والسّلطة، و هو ضربٌ من ضروب المواجهة مع الحياة والمصير، أو محاولة الهروب من هذه المواجهة المؤلمة لنفس الشاعر وعاطفته وأحاسيسه.

شعر المُجون وفلسفة اللذّة

لم يكن النزوع الفكري والإقرار بحكم العقل وسلطانه خاصّاً بالفلاسفة والمتكلّمين، بل شاركهم في ذلك الباحثون والمشتغلون في ميادين الأدب والنقد ، لا بل كان تيّاراً عامّاً شمل كثيراً من ضروب المعرفة والثقافة والفكر والأدب في العصر العبّاسيّ .

وربّما كان هذا النزوع العقلي حصيلة تفاعلٍ مثمرٍ بين ثقافاتٍ شتّى ، منها ما هو عربيّ إسلاميّ، ومنها ما هو أجنبيّ : يونانيّ أو هنديّ أو فارسيّ ، وهذا يعني أنّ روافد الفكر في هذا العصر قد تنوّعت واختلفت مصادرها، وامتدّت آفاق المعارف فيها . . . إذ نشطت بفعل هذا التمازجِ البحوثُ الدينيّة ، و اتّسعت علوم اللّغة العربيّة ، وانتظم علم الكلام ، وكثرت حلقات المجادلين ، وبلغت العلوم كالطبّ والفلك والرياضيّات شأواً عظيماً[7].

ويبيّن ابن خلدون أنّ الفرس والرّوم أكثر من عُني بالعلوم العقليّة قبل الإسلام (فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم ، فكان لهذه العلوم بحور زاخرة في آفاقهم وأمصارهم)[8].

ثمّ يتحدّث عن معارف الكلدانييّن والسريان، وكيف أخذت عنهم الأمم من الفرس واليونان. ولعلّه يشير بذلك إلى أنّ الحضارة الفتيّة الناهضة لا تقوم بمعزلٍ عن الحضارات السالفة، فتستفيد من علومها وثقافتها، وهذه إشارة إلى أنّ الحضارة الإسلاميّة قد استمدّت من الروم والفرس شيئاً من علومها العقليّة ، ويؤكّد الباحثون قديماً وحديثاً نشاط حركة النقل والترجمة في أوائل العصر العباسي (إذ كانت أبرز النقول من مصادر ثلاثة : يونانيّ، وفارسيّ ، وهنديّ)[9].

---

[5] الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ ، 13 :303)
Al Asfahany,Abo alfarag,Al agany, inquiry: Jaber S, dar alfekr, Birut. (in Arabic)

[6] المصدر السابق، 18: 110 .

[7] ينظر: محمد ، أحمد علي ، أثر النزعة العقليّة، قطري بن الفجاءة للتوزيع والنشر، الدوحة، والسيروان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ، 1993، ص14.
A.A.Mohammad, Athar alnazaa alaklea, , Kattry ben alfujaa for Printing and publishing, Doha, 1993. (in arabic)

8 ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1981 ، ص631.
Ibn Khaldoon, Abd Alrahman, Almukaddema, inquiry: Khaliel Shahada, dar alfekr, Birute, 1981. (in Arabic)

9 أثر النزعة العقليّة، ص34.

ولا شكّ في أنّ الازدهار الحضاريّ والتقدّم العلميّ والثّقافيّ اللّذين شهدهما العصر العبّاسي الأوّل كان لهما الأثر البارز في تطوّر الشعر وازدهاره ، فقد ترك كلّ منهما صداه في الشعر العبّاسيّ فظهرت فيه مجالات متعدّدة برع الشّعراء في التّعبير عنها . وكان لتأثّر العبّاسيّين بالفلسفات الوافدة أثرٌ واضح في الشّعر، فاتّصلوا بالمتكلّمين والمعتزلة منهم خاصّة، ومنهم الشاعر بشّار بن برد[*] الذي أكثر من استنباط الأدلّة وحشد البراهين ، وأبي نواس الذي استخدم ألفاظ المتكلّمين* على وجه التظرّف والتملّح[10]، كقوله الذي ضمّنه بعض ألفاظهم ومصطلحاتهم[11]:

يـــا عـــاقد القلب عنّـي هـــلّا تذكّـرْتَ هـــلّا
تركْـتَ منّـــي قليـــــلاً مِـنَ القـلـيـلِ أقَـــــلّا
يكـــــاد لا يتجـــــزّأُ أقـلُّ فـي اللّفظِ مِنْ لا

وقوله الآخر متغزّلاً[12]:

تَأمـلُ العيـــنُ مِنهـــا مَحاسـنـاً ليسَ تَنْفَـدْ
الحُسْـنُ فـي كُـلِّ جُـزْءٍ مِنْهـــا مُعـــادٌ مُـــردَّدْ

ولكن ما كان لأيّ من هذه الحضارات أن يشكّل الرّافد الوحيد للحضارة العربيّة ، فقد (كانت كل هذه الحضارات الهنديّة والفارسيّة واليونانيّة قد امتزجت وتزاوجت مع الحضارة العربيّة الإسلاميّة ، وكان لهذا الامتزاج و التزاوج ثمرة عظيمة زاهية هي الحضارة العبّاسيّة)[13].

* هو ابو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي البصري (96 – 168 هـ) شاعر مطبوع إمام الشعراء المولدين. ومن المخضرمين حيث عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية. ولد أعمى وكان من فحولة الشعراء وسابقيهم المجودين. كان غزير الشعر، سمح القريحة، كثير الافتنان، قليل التكلف، ولم يكن في الشعراء المولدين أطبع منه ولا أصوب بديعا. ينظر: عطوي، علي نجيب، بشار بن برد حياته وشعره ، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1990، ص5
Atwi, AliNajeeb, Bashar bin Bord , his life and poet, dar alkotob alelmeya, Birute, 1990. (in Arabic)

* ألفاظ المتكلمين والفلاسفة كالعرض والجوهر والعقل والفلسفة ...

10 ينظر: الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى، 1968، 1: 141.
Arabic) Aljahez, Amr ben Bahr, Albayan wa Altabein, inquiry: Fawzy Attwy, dar Saab, Birute, 1968. (in

11 ديوان أبو نواس، ديوان ، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت دار الكاتب العربي، 1984 ، ص380 .
Abo Nowas,Dewan, inquiry: Algazaly,Birute, dar alkateb alaraby, 1984 . (in Arabic)

12 المصدر السابق، ص232.

13 جفّال ، خليل، الشعوبية والأدب أبعاد ومضمونات ، منشورات دار النضال للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1986، ص247 .
Gaffal, Khalil, Alshoobiah wa al adab, dar alnedal, alarabea for Printing and publishing, Birut, 1986. (in Arabic)

فأبو نواس إضافةً إلى تأثّره بمذاهب المتكلمين والفلاسفة[*] ، فقد تأثّر بمذاهب حكماء الهند الذين يقولون : إنّ الشيء إذا أفرط في البرد انقلب حارّاً [14]، ومن ذلك قوله[15]:

---

* ومن الشعراء المُجّان الذين اشتهروا بثقافتهم الواسعة حمّاد الرّاوية الذي لُقّب بالراوية لقوله للوليد بن يزيد عندما سأله عن مقدار مايرويه من الشعر: إنّي أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهليّة من دون الإسلام . (ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ ، 6: 80)

Al Asfahany,Abo alfarag,Al agany, inquiry: Jaber S, dar alfekr, Birut. (in Arabic)

أمّا حمّاد عجرد فقد رُمي بالتثنية (ينظر: المرتضى ، الشريف علي بن الحسين ، الأمالي، مطبعة السعادة ، مصر، دون تاريخ، 1: 133)

Almortada, alshareef Ali ben alhussain, Alamaly, alsaada for Printing, Egypt. (in Arabic)

ويعدّ ممن كانت لديهم نزعة مانويّة واضحة وخصوصاً إذا لاحظنا أنّ شعره وقصائده كان يُتغنّى بها في دوائر أتباع ماني وتُستعمل في صلواتهم (ينظر: بدوي، عبد الرحمن ، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، تأليف وترجمة، دار سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1993، ص50 ، والأغاني، 14: 316) .

Badawi , Abd alrahman, Men tareekh alelhaad fi Alislam, dar seena for publishing, Cairo, 1993. (in Arabic)

ويمكن أن يكون اطّلاعه على المذاهب المجوسيّة اطّلاعاً واسعاً قد أتاح له أن يضع المؤلفات فيها مروّجاً لتلك المذاهب .(ينظر: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب معادن الجوهر ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1983، 4: 315)

Almasoudy, Ali ibn Alhussain ibn Ali, moroug alzahab, inquiry: Mehy Aldeen Abd alhameed, dar almarefa, Birute, 1983. (in Arabic)

وقد تكون الثنوية في معتقده قد عُرفت نتيجة اتّهام بشّار بن برد له بقوله :

فادعُ غيري إلى عبادة ربّيـ ـنِ فإنّي بواحدٍ مشغولُ (ينظر: الأغاني، 14: 320، و أمالي المرتضى، 1: 133)

واتّهم بالمزدكيّة لإيمانه بإباحة النساء(ينظر: الزندقة والزنادقة في الأدب العربي من الجاهلية وحتى نهاية القرن الثالث الهجري، الأب جرجس داود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2004، ص277)

Daood, Georges, Alzandaqa wa alzanadeqa fi aladb alArabi, almoasasa aljameia lelderasat wa alnasher, Birute, 2004. (in Arabic)

وقد عرف ذلك عنه بعد موته إثر شهادة بشّار فيه وتعزيته لحريب صديق حمّاد ، بقوله:

بكى حريبٌ فوقّره بتعزيـــــــــةٍ مات ابن نهيا وقد كانا شريكين

تفاوضا حين شابا في نسائهما و حلّلا كلّ شـيءٍ بين رجليـن (ينظر: الأغاني، 14: 317)

واتُّهم بالمانويّة الديصانيّة بحسب شهادة بعض من عرفه، كما جاهر بتفوّق شعره على القرآن الكريم . (ينظر: أمالي المرتضى، 1: 134).

ومن الشعراء المجّان أيضاً مطيع بن إياس الذي اتُّهم بالزندقة الفكريّة التي تطلب تحرّر الإرادة الإنسانيّة وتقود الفرد لفعل ما يرغب به ويريده وباعتماده مبدأه القائل (لا يلهينّك غير ما تهوى) (ينظر: شعراء عباسيون، غوستاف فون غرونباوم ، ترجمة: محمد يوسف نجم، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1959، ص76)

Gronbawm.G.F, Abbassy poets, translation:Nagem.M.Y,Birute, dar alhayat library, 1959. (in Arabic)

وقد يكون ذلك لتأثّره بفلسفة اللذة الأبيقوريّة .

ومنهم أيضاً الشاعر أبان بن عبد الحميد اللاحقي الذي نظم كليلة ودمنة شعراً ، وكتباً أعجميّة أخرى منها كتاب مزدك . (ينظر: الأغاني، 23: 164، و الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة عشرة، 2007، 1: 27)

Alzarkaly, Khair aldeen ,Alalaam, dar alelm for millions, Birute, 2007. (in arabic)

كما كان على اطّلاع وسعة علمٍ بأدب الفرس القديم ، فكان ذلك داعياً له إلى التعلّق بتراث الفرس والتغنّي به .(ينظر: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص50).

و كان والبة بن الحباب أستاذ أبي ونواس ومؤدّبه ومعلّمه في نشأته قد اشتُهر بميوله المزدكيّة؛ أي ميله للنزعة الإباحيّة. (ينظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، محمد مصطفى هدارة، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1988، ص225)

Haddara, Mohammad Mostafa, Trends in Arabic poetry in the second century AH , dar alolom alarabea for Printing and publishing, Birute, 1988. (in arabic)

ويقال إنّ هذا هو سبب رفض المهدي اتخاذه نديماً له .(ينظر: ابن المعتز، عبد الله بن محمد ، طبقات الشعراء ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف ، مصر، دون تاريخ، ص89).

Ibn Almotaz,Poets category, inquiry:Farraj A, dar almaaref,Eygept. (in Arabic)

ينظر: الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1969، 1: 39 . 14

Aljahez, Amr ben Bahr, Alhaywan, inquiry: Abd alsalam Haroon, dar alkateb alaraby, Birute, 1969 . (in Arabic)

15 ديوان أبي نواس، تحقيق الغزالي، ص454.

سَــخنْتَ مِن شِــدّةِ البرودةِ حـــ ـتّى صِــرْت عندي كأنّكَ النّــارُ
لا يَعجبِ السّــامعونَ مِــن صفتي كذلكّ الثّلْــجُ بـــــاردٌ حـــــارُ

ولعلّ طريق اللّذّة الذي دعا إليه مطيعٌ بن إياس ونظراؤه من شعراء المجون قد يكون عائداً لتأثّرهم بفلسفة اللّذّة الأبيقوريّة، وقد يكون تأثّراً بأشعار اللذّة عند طرفة بن العبد وامرئ القيس والأعشى في عصر ما قبل الإسلام، ولعلهم جميعاً تأثروا بفلسفة اللذّة الأبيقوريّة .

والأبيقوريّة: نسبةً إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور (340– 271 ق.م.) الذي كان يعتقد أنّ الأرض قاطبةً تعيش في الألم وتكتسب بالألم أعظم قواها، إلّا أنّه أشاد بالفرح واكتشف الحكمة والفنّ في سكينة الحياة وسط الصّراعات اليوميّة، وكان يطلب هدوء المقام وصفو القلب، وطلبته السعادة لا اللذّة والبساطة الزاهدة لا فخفخة الولائم، وأكثر من أي شيء آخر طلب العزلة الرزينة، وعالم الحياة الداخلية، وكلّ ذلك في الفرح والحريّة، وله كثير من المؤلفات ولكن لم يصل منها إلّا الرّسائل، وشذرات، وأفكار رئيسيّة، ومقالته في الطبيعة، ووصيّة مزدوجة، الأولى فلسفيّة والثانية إنسانيّة خالصة[16].

و**الأبيقوريّة:** هي فلسفة عمليّة تقول : إنّ في اللّذّة سعادة الإنسان ، وقبل كلّ شيء اللّذّة العقليّة واللّذّة الروحيّة كالصّداقة والفضيلة[17]. وهي فلسفة معاشة(معيشة) فلسفة الحياة ، فلسفة شفاء من الشّقاء ، فالسّعادة هدف الحياة البشريّة ،والسعادة هي اللّذّة والخير الأقصى ، والحكمة عند أبيقور بحثٌ ممتعٌ عن الحقيقة ... واللّذّة تواكب المعرفة في الفلسفة[18].

والأبيقوريّون: هم أتباع المذهب الذي أسّسه الفيلسوف اليوناني أبيقور، وهم يقيمون الفلسفة على مذهب مادّي حسّي في الأخلاق، ويتّخذون اللذّة هدفاً أعلى للحياة السّعيدة الخالية من الآلام والمخاوف، ومِلاك هذه الحكمة العمليّة عندهم المنطق والعلم الطبيعيّ[19].

والشعراء المُجّان يدعون بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ إلى اللّذّة ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل اللذّة التي دعا إليها أبيقور هي عينها اللّذّة التي دعا إليها المُجّان في العصر العبّاسيّ الأوّل ؟ أم أنّها وجه من وجوه التطوّر الحضاريّ الذي حدث في ذلك العصر ، أو هي رؤيةٌ جديدة في اللّذّة وانتهاك المقدّس فرضتها الحياة الجديدة الموسومة بغناها الحضاريّ وتنوّعها الفكريّ؟

فترى مطيعاً بن إياس يلجأ إلى مجالس اللّهو و معاقرة الخمرة هرباً من الموت و الضعف والعجز، فيُغرق نفسه باللّهو غير مبالٍ بشيء ، سالكاً طريق العبث والمُجون ، و رافعاً شعاره: "لا يلهينّك غير ما تهوى" جاعلاً إياه مذهباً في الحياة وأسلوباً في مواجهتها ، إذ يقول مصرّحاً بمذهبه الماجن و العابث[20]:

اخلــعْ عِــذارَكَ فــي الهوى واشْــــرَبْ مُعتّقــةَ الدّنــانِ

---

[16] ينظر: طرابيشي، جورج ، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 2006، ص41–42.
Tarabishi , George, Dictionary of philosophers, dar altaleia for Printing and publishing, Birute, 2006. (in Arabic)

[17] ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة السادسة، 1982.
Almonjed in language and proverbial , dar almashrek , Birute, 1982. (in Arabic)

[18] ينظر: بران، جان ، الفلسفة الأبيقوريّة، تعريب: جورج أبو كسم، الأبجدية للنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1992، ص5 ، 6 .
Bran, jan, Epicureanism philosophy, inquiry: George Abbo Kasem, alabjadiea for Printing and publishing, Damascus, 1992. (in Arabic)

[19] ينظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، 2000.
Almegam Alwajeez(Brief dictionary) ,academy Arabic language, Ministry of Education of Egypt, 1994. (in Arabic)

[20] شعراء عباسيون، غوستاف فون غرونباوم، ص76.

و صِـلِ القبيـحَ مُجـَاهـِراً فـالعيـشُ في وصلِ القِيـانِ
لا يـلهينّكَ غيـــرُ مـــــا تَهْـوى فـَإنّ العُمْـرَ فــانِ

وكثيراً ما كان يصوّر عبثه و استغراقه في مجالس اللّهو والعبث ، فيصوّر أحد مجالس اللّهو وما فيه من ضروب المتعة واللذّة، من خمرٍ ونساءٍ وغناءٍ وطربٍ وندمانٍ، ومن الورود والعطور وأكاليل الورد، إذ يقول [21]:

ويــومٍ ببغداد نَعمنــا صَباحَــهُ على وجـهِ حـوراءِ المدامـعِ تطربُ
ببيتٍ تَـرى فيــهِ الزّجـاجَ كأنّــهُ نجومُ الدّجـــى بينَ النّدامــى تقلّبُ
علينـا ســحيقُ الزعفرانِ وفوقَنـا أكـــاليلُ فيهـا الياســمينُ المهذّبُ
فمـازلتُ أُسـقى بينَ صنجٍ ومزهرٍ مِنَ الرّاحِ حتى كادتِ الشّمسُ تغربُ

ولكن هل هذا إصرار منه على اللذّة والشّرب حتّى غروب شمس حياته ؟ أو أنّه يصف مشهداً يوميّاً مكرّراً من مشاهد الاستغراق بالسّكر والشّرب حتى غروب الشّمس ؟ وهو تصوير لا يخلو من دعوةً مبطّنة لتلك الحياة الماجنة اللّاهية، وكأنّه طقس فرحٍ أو إنّه عيدٌ للّهو والسّعادة مع أكاليل الياسمين وسحيق الزعفران، والكؤوس هي النجوم بين الندامى، وهنا يمكن السؤال: مَنْ هم هؤلاء النّدامى؟ وما هي الكؤوس التي تبدو مثل النجوم؟ و ما هي الرّاح أو ما هي دلالتها؟ ويأتي قوله (نعمنا) تأكيداً منه للسعادة والاطمئنان والفرح الداخلي الذي يسعى إليه مع ندمائه في هذه المجالس، أي إلى اللّذّة المنشودة.

أمّا أبو نواس فيهرب من همومه وأحزانه إلى ميدان اللذّة إلى الخمر التي فيها العزاء والسّلوى والخلاص من هذا الواقع المليء بالنفاق والرّياء وانقلاب المعايير ، إذ يقول[22]:

إذا خطرتْ فيكَ الهمومُ فداوِهــا بكأسِــكَ حتّى لا تكونَ همومُ

ولا تبالغ الدّراسة بالقول: إنّ كلّ تصويرٍ لعالم أبي نواس الخمريّ ومجالس لَهْوِه لا تكاد تخلو من الدّعوة إلى هذا العالم؛ أي عالم السّعادة، عالم الفرح، عالم الانطلاق والحريّة ، كقوله[23]:

صفـراءُ تسـلبُكَ الهمـومَ إذا بـدَتْ وتعيـــرُ قلبَـكَ حلّـــةَ السّــرّاءِ

وتصبح الخمر صورةً للجليس والصّديق والأليف ، وعندما لا يحظى بهؤلاء ، أو عندما يصبح غدرهم جزءاً من غدر الزّمان ينثني على الخمر ويبثّها أحزانه وأشواق روحه ليزول الهمّ وتتوارى الأحزان ، إذ يقول[24]:

أديـرا عليَّ الكـأسَ ينقشــعُ الغَمُّ ولا تحبسـا كأسـي ففي حبسِـها إثْـمُ

و تبرز في هذا المجال أيضاً أبيات والبة بن الحُباب التي يصوّر فيها انغماسه في مجالس اللّهو والمجون، واستغراقه فيها، لأنّ فيها المتعة واللّذّة والخلاص من الهمّ والغمّ والنّحس والأذى، وفيها الفرح الكبير والنّشوة والتمرّد والخروج عن القواعد والضوابط الأخلاقيّة والدينيّة، إذ يقول[25]:

قَـدْ قــابلتنـا الكؤوسُ ودابــرتنـــا النّحوس
أنـا وجنبــي عــروسٌ والكـأسُ أيضاً عَروس

21 المصدر السابق، ص37.
22 ديوان أبي نواس، تحقيق الغزالي، ص131 .
23 المصدر السابق، ص72.
24 المصدر السابق، ص104.
25 الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، 16: 151، وينظر: في فلك أبي نواس، نازك سابا يارد، مؤسسة نوفل، بيروت، 1992، ص26. Yard. Nazek Saba ,In Abo nowas orb,Nofa forl press, Birute,1992 . (in Arabic)

يَسقي عروسٌ عروساً إحداهُمـا الخندريـسُ
حتّى إذا مـا انتشينـا وهزّنـــا إبليـــسُ
رأيْتَ أعجبَ شـــيءٍ منّـا ونحنُ جلـوسُ
هَـذا يقبّـــلُ هَـذا وذاك هَـذا يَبـــوسُ

و لذّة والبة لا تكتمل إلّا بانتهاك المحرّمات، بل وبالإصرار عليها، وتحدّي القيم والأخلاق السائدة، والتمرّد على المجتمع وقيمه بالقول الفاحش والفعل الدّنيء، وذلك بقوله[26]:

شـربتُ وفـاتكُ مثلي جمـوحُ بغمّـى بالكـؤوسِ وبالبَواطـي
يُعـاطيني الزّجاجـــةَ أريحـيٌّ رخيمُ الدّلِّ بُوركَ من مُعاطـي
أقـولُ لـهُ على طـربٍ ألِطني ولـو بمُؤاجـرٍ علْجٍ نبـــاطي
فَمـا خيرُ الشّرابِ بغيرِ فُسـقٍ يُتـابَعُ بالزّنـــاءِ وبـاللّـــواطِ
فَقُلْ للخمـسِ آخـرُ مُلتقانـــا إذا ما كان ذاك على الصراطِ
فـإنّ الخمرَ ليـسَ تطيبُ إلّا علـى وَضَـرِ الجنـابةِ باللّواطِ

وكذلك أبو نواس يعيش حياةً لاهيةً ماجنة، حياة عبثٍ وتمرّدٍ على الثّابت والمستقر في الأخلاق والقيم ، وانتهاكٍ للمحرّمات، و إصرارٍ على اللّهو والمجون، فقد عدّه بعض النقّاد من الزنادقة غير المتديّنين*، فقد اهتمّ بشؤون الديانات، وأحاط شعره بجوٍّ دينيّ خالص، فعندما يصوّر مجاس لهوه ومجونه غالباً يشير إلى موقفه الدينيّ، فيبدو عارفاً بالديانات وإن لم يتجاوب معها[27]، ومن ذلك قوله الذي يظهر فيه عكوفه على دروب اللّهو المعصية غير مكترثٍ بالقواعد والأعراف، وإنّه يبدو في ذلك مثل مَن لا يؤمن بيوم الحساب، ولعله كان يقصد تصوير حياة من لا يقدر على التصريح بما يفعلونه سرّاً مع أصدقائهم وندمائهم ، ولو ألصق التهمة على نفسه [28]:

أَلَـمْ تَرَنـــي أَبَحتُ اللَّهوَ نَفســي وَدِينِـي وَاعْتَكَفَتُ عَلَـى الْمَعَـاصِي
كأنّـــي لا أَعُودُ إلـــى مَعَـــادٍ وَلا أُخْشـــى هنـالك من قصـاصِ

و من ذلك أيضاً ما عرضه يحيى بن زياد الحارثيّ من صورٍ تجسّد رفض الزّهد والنّسك والعبادة ، وتحضّ في الوقت عينه على اتّباع الظّرفاء والمُجّان وترك الزّهّاد والنسّاك ، حيث يقول[29]:

---

[26] في فلك ابي نواس ، ص27 . وقوله الآخر الذي يصرّ فيه على العبث وانتهاك المحرّمات:

مـا العيـــشُ إلّا فـــي المُـــدامِ وفـــي اللّـــزامِ وفـــي القُبَـلْ
و إدارةِ الظّـبـي الغَـــريـــــرِ تَســـومُـهُ مـــــا لا يَحِـلْ (ينظر: في فلك أبي نواس، ص28).

*** من بين النقاد كان الدكتور ميخائل مسعود في كتابه أدباء فلاسفة، ينظر: ص135.**

[27] ينظر: أدباء فلاسفة، ميخائيل مسعود، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1993، ص135.

M.Masoud, Odaba falasefah, dar alelm for millions, Birute, Lebanon, 1993. (in arabic)

ومن ذلك أيضاً قوله:

خُذها على دين المسيح إذا نهى عن شربها دين النبيّ محمدِ (ينظر ديوانه، ص281)

[28] ديوان أبي نواس، ص622. ويُلمح إصراره على اللذّة والعبث بقوله:

لو كـــانَ لي سكنٌ في الرّاح يُسـعدني لَمـا انتَظَرتُ بِشُـــرب الرّاح إفطـــارا
الرّاحُ شَـــيْءٌ عَجِيبٌ أَنتَ شَـــارِبُها فَاشْـــــرَبْ وَإِنْ حَمَلَتَكَ الـــرّاحُ أَوزَارا
يـــا مَنْ يَـلومُ عَلى حَمْـــراءَ صـــافيةٍ صِـرْ في الجِنـانِ وَدَعَني أَسكُنُ النّـارا (ينظر: ديوانه، ص111).

29 ينظر: قطب السرور في أوصاف الخمور، الرقيق النديم، أبو إسحق إبراهيم، تحقيق: أحمد الجندي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، 1969، ص171.

أقــولُ لِذي طَربٍ ضــاحــكٍ إذا مَـلّ ذو النّسْكِ من نسـكهِ
دعِ النّســكَ وَيحــكَ لا تبغـهِ و عــاونْ أخــاكَ على فَتكـهِ
ولا تَقـعِ الدّهرَ في صَـاحبٍ و إن أكثـروا مِنــهُ بلْ زَكّــهِ
ولا تَبكيَـنّ علــى نَـاســكٍ و إن مــات ذو طَـربٍ فَـابْكِـهِ

واللّذّة عند أبيقور دعوةٌ للانسجام والرّاحة والطمأنينة ، وهي وسيلة لمقاربة الحياة الواقعيّة، واللّذّة على حدّ تعبيره (هي الخير الأعلى ، فنحن لا نقصد لذات الفاسقين و لا اللّذّات التي تقوم في المتعة الجسديّة كما يقوله البعض ، إمّا لأنهم لا يوافقون على مذهبنا ، أو لأنهم يسيئون فهمه ، إنّ اللّذّة التي نتحدّث عنها تقوم في غياب ألم الجسد واضطراب النّفس)[30].

وبهذا التّعبير الأبيقوريّ يكون كثيرٌ من الشّعراء المجّان قد ابتعد عن نظرة أبيقور للذّة ، من غير أن ننكر أيضاً وجود كثيرٍ من الرّؤى والتّصوّرات الماجنة التي تتقاطع معه ، فها هو أبو نواس يدعو إلى الخمر لأنّها تجلب اللّذّة، و تُشعر بالنّشوة ، ومعها يقصر الزّمان، ويزول الكدر، ويعود الصفاء، إذ يقول[31]:

ألِـفَ المَدامـةَ فالزّمـانُ قصيـرُ صـافٍ عليـهِ ومـا بهِ تكديـرُ

فالشّاعر يرى أنّ من يألف المدامة سيشعر باللذّة القصوى، وانعدام الألم، وقصر الزّمان ؛ لأنّها لا تجعل عنده فراغاً يصرفه في غيرها، و إنّما يحسّ بطول الزّمان مَن امتلأت أيامهم بالفراغ ، والخمر عند أبي نواس تجسّد رغبةً، و دعوةً للصّفاء، وإزالة الكدر والضّيق، و بحثاً عن السّكينة والرّاحة، كقوله[32]:

إذا خَطَـرَتْ فِيكَ الهُمومُ فَـداوِهـا بكأسِـكَ حتّى لا تكـونَ هُمـومُ

فالخمر هي الدواء والصفاء والنقاء والسعادة والطمأنينة التي يسعى إليها كلّ إنسان، وهي علاج الهموم والأحزان التي يلجأ إليها الساعي للراحة والهدوء النفسي.

وهذا ما يُلمح عند أبيقور (فاللذّة عنده إيجابيّةٌ تماماً تندمج فيها لذّات الذوق والسمع والبصر، وهي بحثٌ عن الراحة والسكينة "الطمأنينة" واللذّة عنده طبيعيّة تضعنا في انسجام مع الطبيعة)[33].

و قد جسّد مطيع بن إياس موقفه من الحياة بالسّعي إلى اللّذّة المطلقة، وجعلها غايته في الحياة ومنطلقه فيها عندما رفع شعاره القائل: (لا يلهينّك غير ما تهوى)[34] والذي في جوهره سعيٌ إلى الصّفاء، ودعوةٌ إلى السّكينة وراحة البال.

وتجدر الإشارة إلى أنّ ما يجمع الشّعراء المُجّان – في العصر العبّاسيّ الأوّل –بالفلسفة الأبيقوريّة ليس اللذّة فقط ؛ لأنّ الرّوابط الفكريّة فيما بينهم متعدّدة ومتشعّبة.

فإذا ما نظرنا إلى فلسفة أبيقور حول الزّمن وعلاقته باللّذّة ، فنرى أنّه يمجّد الوقت الحاضر واللّحظة المعيشة، ويدعو بشكل غير مباشر إلى أن يكون الإنسان حكيماً قادراً على أن يعيش لحظته الحاضرة ويستمتع بها ، إذ يقول : (الجسم المتروك لذاته يتذوّق الآن الحاضر، ولكن لا شيء أسرع من الآن الذي يعبر خاطفاً إلى درجةٍ يكاد معها ألاّ يكون أكثر

Alrakik Alnadeem, Abo essac I, Kutb alsuroor in wine quality, inquiry: Aljindy.A, Damascuse, academy Arabic language, 1969 . (in Arabic)

30 الفلسفة الأبيقوريّة، جان بران ، ص 103.

31 ديوان أبي نواس، ص 21.

32 ينظر: المصدر السابق، ص 131 .

33 الفلسفة الأبيقوريّة، ص 104 .

34 شعراء عباسيون، ص76.

من اللّاوجود... والدّور الذي تقوم به النّفس التي تتحلّى بالوعي ، بالرغم من كونها جسميّة ، هو انتشال الجسد من عدم استقرار الصّيرورة)[35].

فهل قصد بذلك أنّ النّفس الواعية هي التي تنقل الجسد من القلب والاضطراب النّاجم عن قلق المصير إلى السّعادة النّاتجة عن سلوك دروب اللّذّة والاستغراق فيها وعبر تقديس اللّحظة المعيشة، كقول أبي نواس[36]:

بـادِرْ صبـاحكَ بالصّبوحِ ولا تكنْ كمسوّفينَ غُدوّاً عليكَ شحاحا

إنّ الصّبـوحَ جـلاءُ كُلّ مُخمّـرٍ بدرتْ يداهُ بكأسِـهِ الإصباحـا

ويرى البحث في مجاهرة الشّعراء المُجّان بمذهبهم العابث المتهتّك الدّاعي إلى اللّذّة والعبث تقديساً منهم لأسلوبهم الماجن، وتقديساً للّحظة المعيشة، ودعوةً إلى الفرح والطمأنينة ، ودعوةً للإنسان كي لا يشغل نفسه بغير ما تحبّ، وللانشغال بما يجلب الهدوء والسّكينة لها، والابتعاد عما يعكّرها. كما تمثّل ثورةً على كلّ التقاليد والأعراف التي تخالف مذهبهم، و تقيّد حريّتهم، وفي ذلك يقول أبو نواس[37]:

هـذا قنـاعُ اللّيلِ مَحسـورُ فاشـربْ فقدْ لاحَ التّباشـيرُ

سُـلافـةً لمْ تَعتصرْها يَـدٌ ولمْ تُدنّسْـها الأعـاصيرُ

أَحسـنُ من سَيْرٍ على نـاقةٍ سَـيرٌ علـى اللّذّةِ مَقصـورُ

كما أنّ تقديس النّديم عند المُجّان قد يكون تأثّراً بوجهة نظر الفلسفة الأبيقوريّة التي كانت تنادي بفكرةٍ مفادها : إنّ الحكيم يجب أن يعيش مع أصدقاء بمعزلٍ عن العامّة والبشر الآخرين[38]، فهذا أبو نواس يضع شروطاً للنديم والصاحب في شرب الخمر ، وذلك بقوله[39]:

يا خاطبَ القهوةِ الصهباءِ يمهرُها بالرّطلِ يـأخذُ منهـا مِلْأهُ ذَهبـا

قصّرتَ بالرّاحِ فاحذرْ أن تسمّعها فيحلفَ الكَرْمُ أن لا يحملَ العنبـا

لا تمكنّني من العربيدِ يشـربُني ولا اللّئيـمِ الذي إنْ شـمّني قَطَبـا

ولا السّفالِ الذي لا يسـتفيقُ ولا غِرِّ الشّـبابِ ولا من يجهلُ الأدبا

ولا الأرذالِ إلّا من يُـوقّـرُنـي من السّـقاةِ ولكن اسقني العربـا

فالشاعر يصوّر في قصيدته حواراً دار بينه وبين الخمر التي شخّصها و أنسنها، فهي خمرة عذراء وعلى طالب يدها أن يدرك مقدار مهرها الغالي ؛ لأنّ الذهب رخيص إزاءها ، ثمّ تضع الشّروط على تجنيبها العربيد واللّئيم و السّفلة والأرذال، وكلّ من يستهين بها، ولا يُحسن تقديرها، أو لا يُدرك قيمتها ، فهي محرّمة إلّا على من بذل في سبيل رضاها كلّ ما يستطيع ، فلا يستحقّها إلا العربيّ الأصيل الذي صحّ لسانه وسلم قوله، وكملت أخلاقه وقيمه، واتّزن في قوله و فعله، ولكن السّؤال هل كانت هذه الشّروط تمثّل شروط أبي نواس في مجالس شربه ؟ أو كانت صفات أبي نواس

[35] الفلسفة الأبيقوريّة، ص 105- 106 .

[36] ديوان أبي نواس ، ص1 .

[37] ديوان أبي نواس، ص 14- 15 .

[38] الفلسفة الأبيقوريّة، ص 107- 108.

[39] ديوان أبي نواس، ص91 - 92 .

وندمائه في مجالسهم الخاصّة؟ أو كانت شروطه لمن يريد أن ينضمّ إلى مجلسٍ يحبّ الخمر ويقدّسها إلى حدّ الإجلال والتّعظيم والثّناء؟

وكثيراً ما كان أبو نواس يقدّس النّديم /الصّديق فيجعل له المنزلة الرّفيعة، والقدر الكبير، ويبيّن أنّه من مظاهر الجمال في هذه الحياة التي تعشقها كلّ نفسٍ مبدعة ، كقوله[40]:

إنّــي امـــروٌ همّتــي والله يكلؤنـــــي أمـرانِ مـا فيهمـا شُــربٌ ولا أكلُ

حبُّ النّديمِ و ما في النّاسِ من حسـنٍ كفّــي إليـــهِ إذا راجعتُـــه خَضِلُ

و على هذا النهج أيضاً تغنّى مطيع بن إياس بذكر ندمائه، وصفاتهم النّبيلة البعيدة عن الخنا والزّور، فبِهم يحصل السّرور، ويزول الكدر والضّيق ، إذ يقول[41]:

ونَــدامــى كلُّهـم يقـ ـلزُ والقلزُ شـــديدُ

بعضُهمْ ريحــانُ بعضٍ فَهُمْ مِسْــكٌ وعُودُ

غـابتِ الأنْحُسُ عنهـمُ وتلقتّهُـمْ سُـــعودُ

فترى القومَ جلوســاً والخنـا عنهمْ بعيـدُ

ومن الجوانب التي تتداخل بين فلسفة اللذّة والشّعراء المجّان هي الدّعوة إلى الحريّة والتحرّر من كلّ القيود والعادات والتّقاليد والأفكار، فالحريّة هي النقطة الجوهريّة في الفلسفة الأبيقوريّة ، وهي الانعتاق من كلّ فكرة في الضرورة الطبيعيّة والتحرّر من الآخرين[42].

فالشّعراء المجّان يرفضون القديم والتّقليد ، والانصياع لقوانين الأمر والنّهي ، فيتمرّدون على سياسة القمع والكبت ، ويسعون لخلق عالمهم الجديد عالم الفرح والسّعادة ، وبذلك يشتركون مع أصحاب المذهب الوجوديّ في أنّ (الإنسان الحرّ هو الذي يخلق أعرافه وتقاليده)[43]. ومن ذلك قول أبي نواس منددّاً بالوقفة الطلليّة، ورافضاً أسلوب العرب في الحياة، وداعياً في الوقت عينه إلى مذهبه الجديد في العبث والمجون[44]:

دَعِ الأطـلالَ تسفيهـا الجنوبُ وتبلي عهد جدّتِهـا الخُطوبُ

بلادٌ نبتُهـا عشْـــرٌ و طلْحٌ و أكثرُ صيدِها ضبعٌ وذيبُ

ولا تــأخذْ عن الأعرابِ لهـواً ولا عيشـاً فعيشُــهمُ جديبُ

دَعِ الألبــانَ يشـربُها رجـالٌ رقيقُ العيــشِ بينهمُ غريبُ

فأطيبُ منـهُ صـافيةٌ شَمولٌ يطوفُ بكأسِــها ساقٍ أديبُ

فهذا العيشُ لا خيمُ البـوادي وهذا العيشُ لا اللّبنُ الحليبُ

---

[40] **ديوان أبي نواس، ص700 .**

[41] **شعراء عباسيون، ص46– 47.**

[42] **ينظر: الفلسفة الأبيقورية، ص15 .**

[43] **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرّد، أحلام الزعيم، بيروت، لبنان، دار الحقائق، الطبعة الثانية، 1986، ص159 .**
Alzaeem. Ahlam , Abo noas between Absurdity, exile, contumacy, Birute, Lebanon, facts house, 1986. (in arabic)

[44] **ديوان أبي نواس، ص11 .**

ويأتي قوله الآخر ليؤكّد فيه أنّ عالمه الجديد هو عالم الفرح والغناء والخمر، والحياة الناعمة اللّاهية البعيدة عن شظف العيش وقسوته، وهو بذلك يعرض موقفه الفلسفي الداعي إلى اللذّة و لعلّ ذلك يأتي نتيجة إيمانه بتسامح الله و رحمته الواسعة[45]،يقول[46]:

اصدعْ نَجِيَّ الهمــومِ بالطّــرَبِ وانعِمْ على الدّهرِ بابنةِ العنبِ

واســتقبلِ العيشَ في غَضَــارتِهِ لا تقِفْ منــهُ آثــارَ مُعتقِبِ

وتمثّل هذه الأبيات دعوةً إلى القيم الجديدة في المجتمع المدنيّ المتحضّر، ودعوةً إلى اللّذّة والمتعة ، وإلى عالمٍ ينسجم مع أهوائهم وأفكارهم ، و إلى شعرٍ متمرّدٍ على أساليب القدماء وطرقهم ، ومنسجمٍ في الوقت عينه مع المجتمع الحضريّ الجديد وأفكاره وقيمه.

وشعر المُجون في القرن الثّاني يُعدّ إلى حدٍّ ما شعر الخطيئة، ولكنْ الخطيئة المقدّسة التي تقابل الحريّة (فحيث تنغلق أبواب الحريّة تصبح الخطيئة مقدّسة)[47].

فالخطيئة لديهم ترمز إلى الحريّة والتمرّد والخلاص ، فتمنحهم المتعة والرّاحة النفسيّة ، وشعوراً بالتعالي والرّفعة على واقعهم الرّاهن ؛ لذلك غالوا في تمجيدها ، وأصرّوا على المجاهرة بها ، كقول أبي نواس متغنّياً بالنّدامى شركاءِ الخطيئة، ومصرّاً على العبث وسلوك طريق اللّذّة، غيرَ آبهٍ أو مكترثٍ بالمجتمع والنّاس وتقاليدهم[48] :

أُقطّــعُ الدّهــرَ بالنّدامــى الكِــرامِ وركوبِ الهوى وشُــرْبِ المُــدامِ

أَنِفَتْ نفســـي العزيـــزةُ أنْ تَقْـ ـنَعَ إلّا بكــلّ شَــــيءٍ حَــرامِ

مـا أُبــالي متى يكون –وقد قَضْـ ضَيتُ منه السّرور– كأسُ حِمامي

الخاتمة:

ومما سبقت دراسته يمكن أن نخلص غلى مجمعة من النتائج التي تمثّل ابرز وجوه التلاقي التقاطع بين أشعار المُجّان وفلسفة اللذّة الأبيقوريّة ومن أبرزها:

الدّعوة الواضحة والصّريحة إلى اللذّة عند كليهما ، لأنّ سعادة الإنسان في اللّذّة ، وقبل كلّ شيء اللّذّة العقليّة واللّذّة الروحيّة كالصّداقة والفضيلة. إضافةً إلى الإصرار على سلوك طريق اللذّة والانغماس فيها؛ لأنّ السّعادة هدف الحياة البشريّة.

وكلٌّ منهما يقوم مذهبه على انتهاك المحرّمات وتحدّي الأخلاق السائدة . كما أنّ اللذّة في مذهبهم دعوةٌ للانسجام والرّاحة والطمأنينة ، فاللذّة عندهم فلسفة معيشة فلسفة الحياة ، فلسفة شفاء من الشّقاء والألم .

---

[45] ينظر: أدباء فلاسفة، ص 138– 139. ويقول أبو نواس مؤمنا بعفو الله:

تكثّر ما استطعتَ من الخطايا فإنّك قاصدٌ ربّاً غفورا

تعضّ ندامةً كفّيكَ ممّا تركتَ مخافة النار السرورا (ينظر: ديوان أبي نواس، ص730)

لعلّ أخذ إيمانه بالتسامح والعفو من المرجئة الذين يرجئون الحكم على مرتكب الكبيرة إلى يوم القيامة فيحكم الله ما يشاء. ينظر: المصدر نفسه، ص139.

[46] ديوان أبي نواس ص161– 162.

[47] مقدمة للشعر العربي، أدونيس، علي أحمد سعيد، بيروت ، دار العودة ، 1983 ، ص52.

Adonis, Ali Ahmad Saeed , introductionfor Arabic poetry,Birute, dar alawda,1983. (in Arabic)

[48] ديوان أبي نواس، ص693 .

وكلاهما يشتركان في تقديس اللّحظة المعيشة ، تقديس النّديم/الصّديق ، وتقدير اللّذّة العقليّة واللّذّة الروحيّة التي تأتي من الصّداقة والفضيلة .

وكلاهما يشتركان في الدّعوة إلى تقديس الحريّة و تمجيد الخطيئة، فاللذة هي فلسفة الحياة ، وفلسفة الشفاء من الشّقاء ، والحكمة عند أبيقور بحثٌ ممتعٌ عن الحقيقة ... واللّذّة تواكب المعرفة في الفلسفة.

المصادر والمراجع:

1- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1981 .

Ibn Khaldoon, Abd Alrahman, Almukaddema, inquiry: Khaliel Shahada, dar alfekr, Birute, 1981. (in Arabic)

2- ابن المعتز، عبد الله بن محمد، طبقات الشعراء ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف ، مصر، دون تاريخ، ص271.

Ibn Almotaz,Poets category, inquiry:Farraj A, dar almaaref,Eygept. (in Arabic)

3- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، المؤسسة المصريّة العامة للتأليف والأنباء والنشر، دون تاريخ.

Ibn Manzoor, Gamal aldeen alanssari, lesan alarab, Egyption establishment for Printing and publishing. (in Arabic)

4- أبو نواس، ديوان ، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت دار الكاتب العربي، 1984 .

Abo Nowas,Dewan, inquiry: Algazaly,Birute, dar alkateb alaraby, 1984 . (in Arabic)

5- أدونيس، علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، بيروت ، دار العودة ،1983 .

Adonis,Saeed.A.A, introductionfor Arabic poetry,Birute, dar alawda,1983. (in Arabic)

6- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ .

Al Asfahany,Abo alfarag,Al agany, inquiry: Jaber S, dar alfekr, Birut. (in Arabic)

7- بدوي، عبد الرحمن ، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، دار سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1993 .

Badawi , Abd alrahman, Men tareekh alelhaad fi Alislam, dar seena for publishing, Cairo, 1993. (in Arabic)

8- بران، جان، الفلسفة الأبيقوريّة، تعريب: جورج أبو كسم، الأبجدية للنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1992.

Bran, jan, Epicureanism philosophy, inquiry: George Abbo Kasem, alabjadiea for Printing and publishing, Damascus, 1992. (in Arabic)

9- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى، 1968 .

Aljahez, Amr ben Bahr, Albayan wa Altabein, inquiry: Fawzy Attwy, dar Saab, Birute, 1968. (in Arabic)

10- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1969.

Aljahez, Amr ben Bahr, Alhaywan, inquiry: Abd alsalam Haroon, dar alkateb alaraby, Birute, 1969 . (in Arabic)

11- جفّال ، خليل ، الشعوبية والأدب أبعاد ومضمونات ، منشورات دار النضال للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1986.

Gaffal, Khalil, Alshoobiah wa al adab, dar alnedal, alarabea for Printing and publishing, Birut, 1986. (in Arabic)

12- الجوهري ، إسماعيل بن حمّاد ، الصّحاح، تاج اللغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1979،

Aljawhary, Ismaiel ebn Hammad, Alsehah, inquiry: Ahmad Attar, dar alelm for million's, 1979. (in Arabic)

13- داود، الأب جرجس، الزندقة والزنادقة في الأدب العربي من الجاهلية وحتى نهاية القرن الثالث الهجري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2004.

Daood, Georges, Alzandaqa wa alzanadeqa fi aladb alArabi, almoasasa aljameia lelderasat wa alnasher, Birute, 2004. (in Arabic)

14- الرقيق النديم، أبو إسحق إبراهيم، قطب السرور في أوصاف الخمور ، تحقيق: أحمد الجندي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، 1969.

Alrakik Alnadeem, Abo essac I, Kutb alsuroor in wine quality, inquiry: Aljindy.A, Damascuse, academy Arabic language, 1969 . (in Arabic)

15- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة عشرة، 2007.

KH.Alzarkaly ,Alalaam dar alelm for millions, Birute, 2007. (in arabic)

16- الزعيم ، أحلام، أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرّد، بيروت، لبنان، دار الحقائق، الطبعة الثانية، 1986.

Alzaeem.A, Abo noas between Absurdity, exile, contumacy, Birute, Lebanon, facts house, 1986. (in arabic)

17- طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 2006.

Tarabishi , George, Dictionary of philosophers, dar altaleia for Printing and publishing, Birute, 2006. (in Arabic)

18- عطوي، علي نجيب، بشار بن برد حياته وشعره ، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1990، ص5 .

Atwi, AliNajeeb, Bashar bin Bord , his life and poet, dar alkotob alelmeya, Birute, 1990. (in Arabic)

19- غرونباوم، غوستاف فون، شعراء عباسيون، ترجمة: محمد يوسف نجم، بيروت، دار مكتبة الحياة،1959.

Gronbawm.G.F, Abbassy poets, translation:Nagem.M.Y,Birute, dar alhayat library, 1959. (in Arabic)

20- محمد، أحمد علي ، أثر النزعة العقليّة، قطري بن الفجاءة للتوزيع والنشر، الدوحة، والسيروان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ، 1993.

A.A.Mohammad, Athar alnazaa alaklea, , Kattry ben alfujaa for Printing and publishing, Doha, 1993. (in arabic)

21- المرتضى، الشريف علي بن الحسين ، الأمالي، مطبعة السعادة ، مصر، دون تاريخ.

Almortada, alshareef Ali ben alhussain, Alamaly, alsaada for Printing, Egypt. (in Arabic)

22- مسعود، ميخائيل، أدباء فلاسفة، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1993.

M.Masoud, Odaba falasefah, dar alelm for millions, Birute, Lebanon, 1993. (in arabic)

23- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب معادن الجوهر ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1983.

Almasoudy, Ali ibn Alhussain ibn Ali, moroug alzahab, inquiry: Mehy Aldeen Abd alhameed, dar almarefa, Birute, 1983. (in Arabic)

24- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، وزارة التربية والتعليم بمصر، 1994 .

Almegam Alwajeez(Brief dictionary) ,academy Arabic language, Ministry of Education of Egypt, 1994. (in Arabic)

25- المُنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة السادسة، 1982.

Almonjed in language and proverbial , dar almashrek , Birute, 1982. (in Arabic)

26- هدارة، محمد مصطفى ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1988.

M.M.Haddara, Trends in Arabic poetry in the second century AH , dar alolom alarabea for Printing and publishing, Birute, 1988. (in arabic)

27- يارد، نازك سابا، في فلك أبي نواس، مؤسسة نوفل، بيروت، 1992.

Yard.Nazek Saba ,In Abo nowas orb,Nofa forl press, Birute,1992 . (in Arabic)